أحمد شوقي في ميزان طه حسين النقدي

المدرس الدكتور
دنيا عبد الله شاكر
doniaabdullah73@gmail.com
مديرية تربية النجف - اعدادية الجزائر للبنات

Ahmed Shawqy in Taha Hussain's critical perspective

Dunya Abdullah Shaker
Najaf Education Directorate - Aljazair high school

الملخّص :

لم تكن دراسة (طه حسين شوقي) (لأحمد شوقي) دراسة مستقلة بل كانت مقالات

متناثرة في كتابين (حافظ وشوقي) و (تقليد وتجديد) ، وقد تحدث طه حسين عن

ثقافة شوقي ورأى انها ليست بمستوى شعره ، واستدل على ذلك من خلال تحليله

لقصيدة شوقي في (أرسطو طاليس) ، لذلك لم يعط الجانب الفني حقه .

كما وازن (طه حسين) بين (حافظ ابراهيم) و(احمد شوقي) واظهر ميلاً واضحاً الى حافظ ربما يعود ذلك لتشابه النشأة لكل منهما، وفي كل مما سبق نلحظ نقداً لاذعاً (لأحمد شوقي) بدءاً من العنوان مثل (شوقي خاتمة شعراء التقليد).

الكلمات المفتاحية : ثقافة شوقي ، الموازنة ، الرؤية النقدية ، ثقافة فلسفية ، حافظ وشوقي ، مقالات نقدية، شوقي في المرآة ، تقليلد وتجديد ، شعراء التقليد.

Abstract:

was not Taha Hussein's study by Ahmad Shawqi, an independent study, but rather it was contested articles in two books (Hafez and Shawqi) and (Taqlid and Tajdeed. (

Taha Hussein concluded that Shawqi's knowledge was not as advanced as his level of his poems. He deduced that during his analysis of Shawqi's poem in(Aristo Talees) .Therefore, he didnt grant the artistic side it's worth. In addition, (Taha Hussein) in between (Hafez Ibrahim) and (Ahmed Shawqi) showed strong tendency to Hafez. This may be due to the similarities in uprbringinf of both of them. In all of the above, we realise there is harsh criticism towards Ahmed starting with the title (Shawqi, The Conclusion of The Poets of Tradition. (

Keywords : imitation and renewal , poets of imitation , Shawqy's culture ,the balance , critical perspective , philosophical culture
Hafith and Shawqy , critical article, Shawqy in the mirror

المقدمة

إن قارئ هذا العنوان يدرك عبر دلالته صعوبة هذا الموضوع ، وخطورة هذه الرحلة ، فالدخول بين هذين العملاقين أمرٌ ليس هيناً ابداً ، لما يتمتعان به من مواهب فذه في ميداني الشعر والنقد فضلا عن مواهبهما الاخرى .

ولكن من يروم العلم والمعرفة وسبر أغوار هذين العلمين ، بغية المعرفة والاستقصاء ، للوصول الى أفضل النتائج وهذا عينه ما يحاول البحث الوصول إليه .

أقيم البحث على ستة محاور يسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وكانت المحاور على النحو الاتي :-

اولاً : عقيدة شوقي الشعرية .

ثانياً : شوقي بين التقليد والتجديد .

ثالثاً : ثقافة شوقي .

رابعاً : الموازنة بين حافظ وشوقي .

خامساً : شوقي في المرآة .

سادساً : موجهات الرؤية النقدية .

وقد حاول البحث الاعتماد - بالمقام الاول – على مؤلفات طه حسين التي تناول فيها شعر شوقي ، لاسيما في كتابيه (حافظ وشوقي، تقليد وتجديد) وكان للبحث جملة من النتائج عرضت في الخاتمة .

أولا : عقيدة شوقي الشعرية :

العقيدة الشعرية من المصطلحات التي وقف عندها طه حسين كثيراً في كتابته عن احمد شوقي[1]، فالشعر عالم فسيح وأفق واسع لا يمكن أن تحدّ الشاعر المبدع فيه حدود.

يلج طه حسين هذا الموضوع في مقالة كتبها تعليقاً على مقدمة محمد حسين هيكل لديوان الشوقيات فينتقد صاحب الديوان ومقدمه في الآن نفسه كأنه يضرب عصفورين بحجر واحد ، يقول :- ((لم أكد أظفر بشئ صريح من

العقيدة الشعرية لشوقي فيما كتب عنه هيكل)) [٢] ثم يعلل ذلك قائلا : ((أترى أن مصدر ذلك أن ليس لشوقي عقيدة شعرية يستطيع هيكل أن يعرضها؟ أم ترى مصدر ذلك أن هيكلاً لم يعنَ بشعر شوقي عنايته بنثر أناتول فرانس، وجان جاك، وبييرلوتي؟ أم ترى أن هيكلاً قد عجز عن فهم شوقي ... أم ترى أن كل الاسباب قد اشتركت)) [٣] .

ولكن طه حسين يتفق – ضمنا – مع هيكل في عدم القدرة على الامساك بعقيدة شوقي الشعرية يقول : ((الواقع أني لا أعرف لأمير الشعراء عقيدةً صريحةً في الشعر)) [٤] .

على أن طه حسين ومحمد حسين هيكل وإن اتفقا على وجود الشخصية الثنائية في شعر شوقي لكنهما يختلفان في تقويم مستوى الابداع الشعري في هذه الثنائية ، يقول هيكل ((وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه – بعد أن يتم نشرها جميعاً - كأنك أمام رجلين مختلفين جدً الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل بالشعر الى عليا سماواته)) [٥] .

اذن هذه الثنائية لم تقدح بشاعرية شوقي ، لكنها عند طه حسين ليست كذلك اذ اخرج شوقي من أفق الأبداع الى حدود التقليد ، يقول طه حسين: ((فازدواج الشخصية الذي يلمحه هيكل في شعر أمير الشعراء لا يدل في حقيقة الأمر الإ على أن أمير الشعراء يقلد المؤمنين والمستمتعين كما يقلد غيرهم من أصحاب الشعر)) [٦].

ويمضي طه حسين في تناول تناقض شوقي في كتابه (تقليد وتجديد) في مقالة كان قاسياً على شوقي في عنونتها اذ كان عنوانها (شوقي خاتمة لشعراء التقليد) لكننا نفاجأ فيها ثنائه على شوقي الى حد تشبيهه بالمتنبي في بناء قصيدة (المديح) ، وهذا التشبيه له دلالة مهمة تخفف من وطأة تهمة التقليد لان اشبه شعراء المتنبي ولا شك في كونه شاعراً مبدعاً يقول طه حسين في ذلك : ((كان أشبه الشعراء بأبي الطيب المتنبي من ناحية أنه إذا قصد إلى المديح... أنشأ قصيدته وقسَّمها قسمين؛ يختص بالقسم الاول الى نفسه؛ ويعطي القسم الاخر

لهذا الغرض الذي يقول فيه الشعر . وهو كذلك في هذا لا ينفك متناقضاً فالشطر الأول الذي يختص به نفسه - وهو الذي يتغزل فيه ويذهب فيه مذهب الحكمة - كان من الشعر الجيد الذي لا شك في جودته وإتقانه... ولكن القسم الثاني الذي يتخفف فيه الثقلة التي تفرضها عليه الظروف... كان هذا القسم من قصيدته أضعف القسمين لأن الشاعر لم يكن يملك فيه حريته كاملة)) [٧].

ولا ينفك طه حسين في رصد أحوال التناقض عند أحمد شوقي فيمتد حديثه الى انشاد الشعر في المجالس والمنتديات وأن صوت شوقي لا يساعد على الإنشاد ، يقول ((لكنه حتى في إظهار شعره كان لا يخلو من بعض التناقض ، فقد كان شعره أفصح الشعر الذي كان ينشر في مصر في تلك الاوقات ، ولكن صوته ولسانه لم يكونا يساعدانه في الإستماع فكان يكتب ولا ينشد واذا فرض أن تنشد له قصيدة طلب الى بعض الصديق ان ينشد هذه القصيدة نيابة عنه)) [٨] وهذه قضية لا تمس جوهر الشعر .

إن مما تجدر الإشارة اليه هو أن ثمة اضطرابا يمكن أن يلمح في الحكم النقدي لطه حسين على عقيدة شوقي الشعرية ومستوى ابداعه فبعد أن وصفه بأنه يقلد الاخرين وبانه خاتمة شعراء التقليد عاد ليقول في مقالة اخرى ((إنما هو شاعر يحب الشعر للشعر، وينشئ الشعر؛ لأنه يجد في نفسه عواطف يحب أن يضعها، واحساساً يحب ان يذيعه. هو شاعر؛ لأنه يشعر وليس هو بالشاعر لأنه يريد ان يتكلم لا أكثر ولا أقل)) [٩] .

ومما يتصل بالعقيدة الشعرية ثمة رأي لطه حسين في تشبيه لشوقي ببعض شعراء العصر العباسي الأول يقول ((هو يشبه الشعراء النابهين في العصر العباسي الأول ... يشبه بشاراً ويشبه مسلم بن الوليد وغيرهم من هؤلاء الشعراء الذين لم يكونوا عرباً ولكنهم اتقنوا العربية حتى تفوقوا فيها على العرب أنفسهم، وأتقنوا الشعر العربي حتى تفوقوا فيه على شعراء العرب الفحول)) [١٠] .

ولكننا نعجب كيف يشبّه طه حسين شوقي بهؤلاء الشعراء وبالمتنبي ولا يشبهه بالبحتري وهو أحرى بأن يكون شبيهاً به من موسيقى عجيبة وعاطفة

مشبوبه وغنائية واضحة ، على الرغم من إن شوقي نفسه كان يصرح بهذا التأثير يقول ((وكان ((البحتريّ)) رحمه الله رفيقي في هذا الترحال ، وسميري في هذا الرحال)) [١١] وذلك في حديثه عن رحلته في الأندلس .

والذي يلفت النظر في شخصية شوقي أنه كان يدرك أن عقيدته الشعرية بلغت مجداً لا يضر معه النقد شيئاً ، وقد عبر عن هذا عندما بلغته كثرة نقودات طه حسين ، إذ أخبر محمد حسين هيكل بقوله ((ما الذي يقصد اليه صديقك طه من توجيه النقد الي في كل مناسبة؟ أيظن نفسه قديرا على أن يهدمني؟ قل له: انني مجدٌ تكوّن ومن المستحيل هدم مجد تكوّن وإنه ينطح بنقده صخرة لا تستجيب له)) [١٢]، ولكن لا سبيل الى النكران في أن النقد البناء يصقل الموهبة الشعرية ويقوم الاداء الفني، وشوقي أفاد من النقد كثيراً، إذ نلحض نضوجاً وتجديداً وانفتاحاً في السنوات الاخيرة من تجربته الشعرية.

ثانياً : شوقي بين التقليد والتجديد :

ينظر طه حسين الى جوهر قضية التقليد والتجديد لا الى قشورها ، يقول ((ليس كل محافظة على القديم تقليداً ولا كل إضافة إلى القديم تجديداً... وإنما للتقليد وللتجديد في الحياة الأدبية ، بنوع خاص؛ أصول وشروط لا تتحقق المحافظة إلا بها)) [١٣] ويضيف ((فليس من اليسير أن يصبح الانسان وقد ألف الحياة القديمة ونشأ فيها وعاش عليها دهراً من حياته ، ثم يتصل بحياة أخرى أجنبية طارئة فيتحول فجأة من مقلد الى مجدد، بل لا بد من أن يطول اتصاله بهذه الحياة الطارئة)) [١٤] من هذا المنطق يتناول طه حسين موضوع التجديد والتقليد عند شوقي يقول ((شوقي هو أول من حاول التجديد بمعناه الدقيق في الأدب العربي؛ بل في الشعر العربي... وهو قد حاول هذا التجديد متحفظاً أول الأمر فوفق فيه توفيقاً ما، ولكنه عندما أتيح له شئ من الحرية في الشطر الاخير من حياته أتيح له أن يبلغ من التجديد ما كان يريد)) [١٥]، وهذا استنتاج منطقي من طه حسين إذ إن توافر مقدمات التجديد لشوقي لم تتح له بشكل كافٍ الا في الشطر الاخير من حياته حيث جمع بين ثقافته

واتصاله بالغرب أي إنه مازج بين الثقافتين العربية والاوربية فضلا عن امتلاكه لموهبة فذه .

واذا مضينا في البحث عن مواطن التجديد لشعر شوقي مما وقف عند طه حسين لابد من الوقوف عند مسرحيات شوقي وفنه الشعري التمثيلي إذ كان يمثل تجديداً لافتاً للنظر يومئذ، بل كان الرائد في ذلك .

ويبحث طه حسين عن أسباب هذه الظاهرة قائلاً ((ثورتنا بالإنجليز في أعقاب الحرب العالمية الاولى هي التي أذكت جذوة التمثيل في مصر ... وفرضت على كل واحد منا أن يعطي خير ما عنده لنفرض نفسنا على خصمنا ولنشعر العالم بآلامنا وآمالنا وسمونا الى حقنا في الحياة الحرة الكريمة ... وهي قد اضطرت شوقي الى أن يشارك في الحياة الجديدة بلون جديد لفنه الشعري العظيم)) (١٦).

لكن طه حسين يستدرك واصفا تمثيل شوقي بالغناء وهو – اي الغناء – يقلل من القيمة الفنية من التمثيل ويذكر طه حسين لهذا سببين ذكر احدهما في مقالة عنوان التمثيل قائلاً ((ولكن شوقي كان صاحب غناء لا صاحب تمثيل، وكان مبتدئاً في هذا الفني التمثيلي؛ فلم يتح له من الإتقان إلا ما أتيح للمبتدئين النابهين)) (١٧)، أما السبب الثاني الذي نقرأه ضمن مقالات (تقليد وتجديد) يقول ((ولكنه - كما قلت - قد ذهب هذا المذهب الجديد في شعره - مذهب التمثيل - في وقت متأخر بعد انجلت قوة الشباب وبعد أن حيل بينه وبين هذه البراعة التي كان يمتاز بها أثناء شبابه)) (١٨).

اذن هما سببان سبب يتصل بالأدب العربي بشكل عام ، كون الشعر التمثيلي جديداً عليه، وسبب آخر يتعلق بتأخر تجربة شوقي في الشعر التمثيلي ، ولكن على الرغم من كل ذلك يمكن القول إن شوقي رائدٌ في هذا المجال وامرٌ طبيعي إن الرائد و المبتدئ لا يتوقع منه أن يأتي بالمثال والأنموذج وانما تصاحب تجربته بعض العوائق والمزالق وهذا لا يغض بجدة التجربة ، لاسيما إن شوقي قد قصد في فنه الشعري التمثيلي الى موضوعات مصرية يرفع فيها من شأن وطنه (مصر) ويحط عنه الاذى كما فعل في مسرحيتي (كليوباترا وقنبز) وقصد

ايضا الى موضوعات عربية يصور بها مجداً عربياً ثابت الأسس كما في مسرحيتي (مجنون ليلى وعنترة) ، ويرى طه حسين إن هذا الحدث الادبي سيحفظه التاريخ لشوقي ولكنه لا يحفظ له فناً تمثيلياً ممتازاً لان شوقي شاعر غناء لا شاعر تمثيل[١٩] .

أما معارضات شوقي فقد كان لطه حسين وقفات عندها بعضها ثناءٌ واعجابٌ وبعضها الاخرى قدحٌ وانتقادٌ فمن الأولى ثناؤه على محاكاة شوقي للآثار الادبية قائلاً ((كانت طبيعة شوقي من الخصب والقوة بحيث لم تكن تذوق أثراً ادبياً يمكن محاكاته إلا حاولت هذه المحاكاة وجدّت فيها وكانت توفّق أكثر الاحيان في هذه المحاكاة توفيقاً عظيماً))[٢٠] ولكن هذه الخصوبة والقوة والتوفيق العظيم لا تلبث هذه الصفات التي أسبغها طه حسين على معارضات شوقي لا تلبث أن تتحول الى تقليد محض بحسب ما يرى طه حسين في مقالة أخرى يقول ((تجديد شوقي يستحيل شيئاً فشيئا الى تقليد ... ينشئ القصيدة فلا تحتاج الى تعب او مشقة لتجد القصيدة القديمة التي تحاكيها . سمّ هذه معارضة او محاكاة او تقليداً فذلك عندي سواء؛ لأنه ينتهي الى نتيجة واحدة وهي أن الشاعر قد رجع الى القدماء يلتمس عندهم مثله الأعلى))[٢١] والحق إن هذا الحكم النقدي من عميد الادب العربي يحتمل المناقشة ويستدعي الوقفة ، لأن المعارضة الشعرية فن صعب المراس ، الشاعر محدد فيه ببحر وقافية وموضوع وهذا ما يضيّق زاوية الاختيار . فضلا عن ذلك فان يجب أن يؤخذ بعين الحسبان أن شوقي في أغلب معارضاته قد عانى ظروفاً قاسية مشابهة للظروف من عارضهم - من حيث التجربة الشعرية - وخير مثال لذلك معارضته لقصيدتي (البحتري السينية وابن زيدون النونية) إذ بثّ فيهما حنينه لوطنه واشتياقه لأهله ومرارة المحنة التي قاساها من مثل قوله :

وطني لو شغلتُ بالخلدِ عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

شهد الله لم يغب عن جفوني ... شخصُه ساعةً، و لم يخلُ حسّي[٢٢]

او قوله في النونية :

يـا نـائح الطلـح اشـباه عوادينـا نشـجى لواديـكَ أم نأسـى لوادينـا ؟

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

فان يك الجنس يا ابن الطلح فرّقنا إن المصائب يجمعن المصابينا[٢٣]

والـذي يقـرأ معارضـات شـوقي يلحـظ بمـا لا يقبـل الشـك حجـم المعانـاة والمشـقة والتجربة الصادقة التي صدرت عنها هذه القصائد ومدى الابداع فيها [٢٤].

ثالثاً : ثقافة شوقي

النقد الادبي عملية تتجه الى النص الادبي بوصفه كلّاً لا يمكن تجزئته الاّ لأغراض تتعلق بتسليط الضوء على كل جزء من أجل تيسير دراسة النص ، وأن هذه الاجزاء تدرس بلحاظ أثرها في تكوين النص الكلي وإن ما تحدثنا على النص الشعري بشكل خاص فإن ثمة عناصر تكوّن هذا النص منها ما يتصل بالفن من بناء ولغة وصورة وموسيقى ومنها ما يتصل بالموضوع من غرض شعري وافكار ورؤى وثقافة ... وما الى ذلك . على ان هذه العناصر كلها تتواشج وتذوب في الصورة النهائية للنص وإن تفاوتت نسبها بحسب الموضوع المتناول أو التجربة الشعرية أو مستوى موهبة الشاعر .

من هذا المنطلق يمكن أن نقوّم تجربة طه حسين في نقد النص الشوقي - إن صح التعبير - فقد ركز عميد الأدب العربي على نقد ثقافة امير الشعراء تركيزاً لافتاً للنظر وكأن الثقافة هي كل شيء في الشعر ، نعم هي شئ مهم ولكننا - ولا سيما في الشعر العربي بعامة - نولي أهمية كبرى للأداء الفني والصياغة الشعرية بكل ما تشتمل عليه من أساليب وهذا امر بدا واضحاً في شعر شوقي مع أن حظه من الثقافة لم يكن يسيراً على الاطلاق ، فشوقي كان يجيد أكثر من أربع لغات ومنها العربية والتركية والفرنسية ، وقد كتب الشعر في موضوعات متنوعة ومدح ورثى اشخاصاً مبرزين في شتى مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والأدبية وكتب في المخترعات وعلى ألسنة الأطفال وكتب في التاريخ وكانت له في ذلك قصائد كثيرة ومتميزة ، كل ذلك يقع ضمن محور الثقافة ولكن طه حسين يقف عند نموذجين شعريين لشوقي هما قصيدته في ارسطو وترجمة احمد لطفي السيد لها والقصيدة الاخرى هي قصيدته في شكسبير وكلتا

القصيدتين ليست من أجود ما كتب شوقي فضلاً عن أن ما يطلبه الناقد من الشاعر ليس معلومات علمية او فلسفية او تاريخية ... وما الى ذلك ولكن الناقد الحاذق يبحث عن الإحساس الشعري سواء طابق الواقع أم لم يطابقه لأن المقاربة بين احساس الشاعر داخل القصيدة ومشاعره وعواطفه من جهه والواقع والتاريخ وما يسمى بالخارج من جهة اخرى ، هذه المقاربة تميتُ الشعر وتحيله الى مباحث جافة ، وطه حسين يقر بأن شوقي يحمل ثقافة عن شكسبير ولكنها اعتيادية لا يرضى بها طه حسين بل يريدها ثقافة عالية ومعلومات أكثر وهو يريد أن يحس القارئ بذلك في القصيدة قائلا ((فأقل ما يحسه قارئ القصيدة أن شاعرنا لم يعلم من أمر شاعر الانجليز الا شيئا ضئيلاً يعرفه المثقف الاعتيادي)) (٢٥).

وتستمر نقود طه حسين لثقافة شوقي في قصيدته عن ارسطو طاليس ، وكانت واحدة من ثلاث قصائد في الموضوع نفسه والشاعران الاخران هما حافظ ابراهيم ونسيم ويقول طه حسين في ذلك ((وكان شوقي أحق الشعراء الثلاثة بأن يعاتب في هذا الموضوع، نعم، هو أحقهم بالعتب؛ فهو من بينهم قد تعلق بأرسطو طاليس، واراد أن يشيد بذكره ويرفع من شأنه، وخص له في قصيدته أكثر مما خص للأستاذ المترجم)) (٢٦) ويبدو إن مصطلح (العتب) معتدل بعض الشيء لأن نقد طه حسين ليس عتباً بل هو نقد لاذع، جوهره إن شوقي لا يميز بين أرسطو وافلاطون وقد نسب الى أرسطو اراء ليس له ((وقد يعاب شوقي بنسبته الى أرسطو آراء ليست له، ولكن لا يعاب جملة بضعف ثقافته الفلسفية)) (٢٧)

رابعاً : الموازنة بين حافظ و شوقي

ليس بغريب أن يكثر طه حسين في حديثه عن شوقي بموازنته بحافظ ابراهيم لأسباب كثيرة منها شهرة الشاعرين ومنها حب طه حسين لحافظ وهو يصرح بذلك قائلاً ((وأنا أريد أن أعترف ايضاً بأني كنت اوثر حافظاً على شوقي بحياتهما ، وكنت اختص شاعر النيل من المودة والحب بما لم اختص به امير الشعراء؛ لأن روح حافظ وافق روحي، ولأن كثيراً من أخلاق حافظ وافق أخلاقي)) (٢٨).

وطه حسين يعترف بأن ذلك سوف يؤثر في تقويمه لتجربة كلا الشاعرين يقول ((وأنا أعلم أن من العسير ان يخلص المؤرخ ومؤرخ الادب بنوع خاص من عواطفه

وشهواته، ومن ميوله، واهوائه ومن ذوقه في الادب والفن . فهو خليق أن يخضع هذا كله قليلاً او كثيراً حين يدرس الشعراء والكتاب أو يوازن بينهم أو يحكم عليهم)) (٢٩).

وفيما يتعلق بكتاب طه حسين (حافظ وشوقي) يرى أحد الباحثين انه ((كانت الرغبة الملحة في التعجيل بإظهار الكتاب في هذا التاريخ ١٩٣٣ ليدرك الموجة الغامرة من حفلات التأبين التي تمثلت يومئذ في تلك المهرجانات الادبية الكبيرة التي اقيمت بعد وفاة شوقي خاصة لتأبينه والاعلاء من مناقبه وحده دون الاشارة الى زميلة حافظ الذي لم يسبقه الى الرحيل الا بأقل من ثلاثة اشهر لم تبدَ فيها بادرة مشجعة الى تأبينه والاحتفال بذكراه اللهم الا تلك القصيدة الرائعة البارزة لشوقي)) (٣٠) .

وكان مطلع قصيدة شوقي في رثاء حافظ ابراهيم :

قد كنت أُوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الاحياءِ(٣١)

والموازنة بين حافظ وشوقي عند طه حسين نلمحها أول ما نلمحها في حديث طه حسين عن البيئة التي ولدا فيها وظروف نشأة كل منهما ففي شوقي يقول ((ولد احدهما بباب أسماعيل حيث البأس والعزة، وحيث الغنى والثروة، وحيث الترف والنعيم، وحيث هذه العناصر الكثيرة المتباينة التي تبعث الحياة في ناحية من أنحاء النفس وتبعث الموت في ناحية اخرى، وحيث هذا الاعتزاز بالنفس والازدراء للشعب وحيث هذه الاثرة التي تخيّر الى صاحبها أن كل شيء مسخّر له، وانه هو لم يسخر الا ليستأثر بنعيم العيش)) (٣٢) .

أما فيما يتعلق بحافظ ابراهيم فيقول طه حسين واصفاً بيئته ((ولد الاخر في ناحية مظلمة متواضعة من نواحي مصر، في أسرة مصرية لا حظ لها من غنى ولا ثروة، ولا نصيب لها من بأس ولا سلطان ، أسرة من هذه الأسر التي تمتلئ بها مدن مصر وقراها والتي تعودت... أن تشقى ليسعد غيرها وأن تعمل ليكسل غيرها، وأن تتألم في صمت وتحتمل المكروه في صبر وإذعان)) (٣٣) .

ويمكن أن نستشف من الوصفين إن طه حسين لا يتعاطف مع بيئة حافظ ونشأته فحسب بل كأنه يدعو الى تفضيله على شوقي مع الاخذ بعين الحسبان إن بيئة حافظ متشابهة تماما مع البيئة التي نشأ فيها طه حسين نفسه ((ولعل هذا سر من اسرار ذلك

التعاطف الروحي بين الرجلين فكلاهما من اسرة فقيرة مكافحة وكلاهما خرج من الظلمة الى النور ومن البؤس الى النعيم)) [٣٤] على إن من يسعى الى النقد الموضوعي في الأدب عامة وفي الشعر بخاصة ، يجب أن يحتكم الى القيمة الفنية للنتاج الشعري بصرف النظر عن تعاطفه مع حال صاحب النتاج .

ويمضي طه حسين في الموازنة بين الشاعرين فيأتي الى طبيعة كل منهما فيقول ((فأما طبيعة حافظ فيسيرة جداً، لا غموض فيها، ولا عسر، ولا إلتواء وهذا اليسر هو الذي يحببها إلينا، وهو الذي يجعلها في الوقت نفسه فقيرة قليلة الحظ من الخصب والغنى ... وكما كان علم البارودي بالأدب محدوداً لا يتجاوز الأدب القديم يحفظه، وقلما يفقه عميقه، فقد كان علم حافظ محدودا كذلك)) [٣٥] وعندما يصف طبيعة شوقي نرى عميد الادب العربي يكبر هذه الطبيعة قائلاً ((اما طبيعة شوقي فشيء اخر، معقدة ... فيها أثر من العرب، واثر من الترك، واثر من اليونان، واثر من الشركس ، التقت كل هذه الاثار وما فيها من طبائع واصطلحت على تكوين نفس شوقي. فكانت هذه النفس بحكم هذه الطبيعة أو الطبائع أبعد الاشياء عن البساطة ، وأنآها عن السذاجة، وهي بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد ما يكون الخصب، وغنية كأوسع ما يكون الغنى ، ثم لم تكد هذه النفس الخصبة الغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها ومن كنوزها وغناها ما يزيدها خصباً الى خصب وثروة الى ثروة)) [٣٦] .

إن هذا الوصف من طه حسين لطبيعة شوقي فيه إعلاء وإكبار لهذه الطبيعة وقد نعجب لأننا لم نعتد هذا من عميد الادب العربي في مقالات سابقة ومنها (مقدمات ، المثل الاعلى ، في الذوق الادبي) إذ كان عميد الأدب العربي ناقماً فيها على امير الشعراء عندما يتطرق طه حسين لشاعرية كل من حافظ وشوقي نلحظه في البدء يحتاط فيشركهما في الحكم قائلاً ((كلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً في السماء ، وكلا الشاعرين قد غذى قلب الشرق العربي نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء، وكلا الشاعرين قد احيا الشعر العربي ورد اليه نظارته ونشاطه وكلا الشاعرين قد مهد احسن التمهيد للنهضة الشعرية المقبلة هما اشعر أهل الشرق منذ مات المتنبي

وابو العلاء من غير شك هما ختام هذه الحياه الأدبية الطويلة الباهرة هما اشعر العرب في عصرهما)) [٣٧] .

ولكن طه حسين عندما يصل الى السؤال المثير : ولكن أيهما أشعر من صاحبه ؟ يقر بفائدة الاجابة ونفعها ولكنه لا يجيب قائلا ((أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خيرٌ من صاحبه على الإطلاق)) [٣٨] على الرغم من إنه في بدء المبحث يصرح بإيثاره حافظاً على شوقي[٣٩]، بيد إن طه حسين يلجأ الى ذكر براعة أحد الشاعرين على حساب الاخر في غرض أو موضوع أو فن من فنون الشعر فيرى أن حافظاً أبرع في الرثاء وفي تصوير نفس الشعب والامة وشكوى الزمان في حين إن شوقي أخصب طبيعة وأغنى مادة وأبرع في التقليد وفي الوصف وهو منشئ الشعر التمثيلي في اللغة العربية .

وهذه الموازنة تحتمل المناقشة والنظر، فالرثاء في شعر شوقي لا ينفصل بأية حالة من الاحوال عن رثاء حافظ إن لم يفقه فضلا عن إن التصوير فن تميز به شوقي تميزاً واضحاً[٤٠] لا يمكن جحده في هذا الشكل .

خامساً : شوقي في المرآة

يمثل مصطلح المرآة محوراً تدور حوله رؤية طه حسين النقدية بل شكلت ((عنصراً دالاً بتكراره في السياقات المتكاملة لكتب طه حسين كلها في مختلف مجالاتها وتنوع ميادينها)) [٤١] والحق أن شوقي قد مثّل تلك المرآة في كثير من شعره ، وفيما أشار طه حسين إليه من مثل وقفته عند قصيدة شوقي :

قفي ـ يا اخت (يوشع) ـ خبرينا أحاديث القرون الغابرينا[٤٢]

إذ يقول طه حسين عن أبانة شوقي عما في نفوس المصرين: ((شعر بشيئين يشعر بهما كل مصري ، ولكن شعوراً غامضاً لا يتبينه في نفسه، ولا يستطيع أن يبينه للناس ؛ احدهما أن لتاريخ مصر القديم مجداً وعظمة والثاني أن تاريخ مصر الحديث فقيرٌ الى هذا المجد، والى هذه العظمة، بهذا يشعر كل مصري وبهذا شعر شوقي ولكن كل مصري لا يستطيع أن يبين هذا كما بيّنه شوقي ولا أن يذهب فيه مذاهب القول التي ذهبها شوقي)) [٤٣] أي أن امير الشعراء أصبح المرآة التي أبانت عما هو كامن في نفوس

المصرين ، وهذا الأمر اتضح كثيراً في الشطر الثالث من حياة شوقي ، يقول طه حسين في ذلك ((ولكنه قد ذاق الان لذة الحرية وظهر فيه عنصره العربي وعنصره اليوناني؛ فهو يحب الهواء الطلق، وهو يحب الديمقراطية، وهو ينزل الى الشارع ويطوف فيه، حيث يلقى الناس ويتحدث إليهم ، ويسمع منهم ويشاركهم في لذاتهم وآلامهم ثم يرقى الى سماء الشعر فاذا هو ترجمانهم الصادق ومرآتهم المجلوة الصافية)) [٤٤].

ولكن هذه المرآة لم تكن جديدة على شوقي بحسب ما يراه البحث اذ كانت قبل ذلك موجودة ، وقد تكون أحد أسباب نفيه ، وحتى في النفي كانت مرآة مصر - وطنه - لم تفارقه يقول :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه ساعةً ولم يخل حسي[٤٥]

أو قوله :

وسلا مصر: هل سلا القلب عنها أو أسا جرحه الزمان المؤسي؟[٤٦]

فشعره في المنفى كانت مرآة صادقة صورت اشواقه ولواعجه وحنينه الى الأهل والأحبة والوطن الذي لم يخل إحساس شوقي عنه ساعة ولم يغب عن جفونه .

وثمة رأي لطه حسين في قضية الروح المصرية في الشعر يقول فيه ((أن شوقي وحافظ تجنبوا الذوق المصري ، وان البهاء زهير واضرابه اقرب الى نفوس المصريين)) [٤٧] أما رأي احمد شوقي في هذه القضية فهو قوله ((ان اولئك الذين يطلبون ادباً مصرياً غير شائع في العالم العربي ولا يستوحي الأدب العربي القديم اما ان يخلقوا لمصر لغة اخرى يسخرونها ويعيشون بها بما يشاؤون واما ان يستوحوا للأدب المصري المزعوم لغة من لغات القلب)) [٤٨] .

نلحظ اضطراب ((المعايير النقدية في مرحلة من مراحل الصراع، ومرد ذلك ... أن طبيعة النقد تكون لدى الصراع طبيعة تبشيرية لا تعنى بتحليل الاثر الفني قدر ما تعنى بالترويج له، او الغض منه)) [٤٩].

وإذا ما تركنا مرآة الخارج الى مرآة الذات وجدناها شاخصة بارزة في شعر امير الشعراء[٥٠] وهذه الخصيصة المهمة لم يؤكد عليها طه حسين في شعر شوقي لأنها مزية ،

لكنه أكد عليها في شعر شوقي التمثيلي لأنها ليست حين اذ مزية بل نقطة ضعف في الشعر التمثيلي والمسرحي ان يمزج بالذاتية والغنائية وهذا امرٌ لافت للنظر يعبر عن حالٍ من الانتقاء في اختيار النماذج المنقودة .

سادساً : موجهات الرؤية النقدية

على الرغم من أن الرؤية النقدية لطه حسين تجاه شوقي أخفّ وطأةً وادنى غلواً وأقل سخطاً مما كان عليه العقاد في نقده الناقم على امير الشعراء ، لكننا لا نستطيع أن ننكر إن نقد عميد الأدب العربي لأمير الشعراء كان فيه شيء من السخط والمرارة والهجوم غير المسوغ في كثير من الأحايين وعندما يفكر الباحث في موجهات ذلك وبواعثه وأسبابه تعرض له جراء البحث والاستقصاء والتفكر مجموعة افكار ورؤى يمكن أن نجملها في النقاط الاتية :-

أ- لعل في مقدمة هذه الموجهات ما يقرّ به طه حسين نفسه من ايثاره حافظاً على شوقي وهو يطلب من المتلقي ان يدرك ذلك في اثناء تلقيه نقود طه حسين في شوقي يقول ((إنما ذكرت لك عواطفي التي كانت تعطفني على حافظ بالحب والمودة وتصرفني عن شوقي بعض الشيء؛ لتتم ما قد أعجز عنه أنا من الإنصاف ولتمحو أنت ما قد تورط فيه أنا من الغلو والاغراق)) [٥١]. وإذا كان أحد الباحثين يرى أن نقد طه حسين يغلب عليه الذوق ولا يحفل بالمقاييس[٥٢].

فأن طه حسين نفسه يعترف ((من العسير جداً أن يخلص المؤرخ ومؤرخ الادب بنوع خاص من عواطفه وشهواته، ومن ميوله واهوائه. ومن ذوقه في الادب والفن فهو خليق ان يخضع لهذا كله قليلا او كثيراً حيث يدرس الشعراء والكتاب أو يوازن بينهم او يحكم عليهم)) [٥٣] والحق إن الذوق يمكن أن يحضر في العملية النقدية ولكن يجب أن لا يخرجها عن صدد الموضوعية قدر الامكان .

ب- لم تكن نفس طه حسين نفساً سهلة الرضا والاقتناع وإنما ((روح الناقد متشربة به منذ صباه والتحاقه بالأزهر ، كان منذ الصبا مولعاً بالتصدي للعمالقة وتلك طبيعته . لقد استمرأ النقد واستطعمه واستطاب مذاقه)) [٥٤] لذلك لا غرو أن يتصدى بنقد حاد لشوقي وهو يقدم لهذا النقد بقوله ((شبع شوقي ثناءً، وتقريظاً وأحسبه لم يشبع نقداً بعد)) [٥٥] وكأنما هو يمهد لهجوم نقدي على شوقي على

إننا لا نغفل إن طه حسين لم يكن مبدعاً في هذا الاتجاه إنما كان ((يتابع السنة التي اصطنعها هو وغيره من الادباء الشباب في مهاجمة الشيوخ واختيار اصلب المعاقل وامنعها لهجومهم وتصويب سهامهم اظهارا للقدرة والشجاعة)) (٥٦).

ت- في كثير من وقفات طه حسين في نقد شوقي نلحظ الإحتكام الى المعايير والأمثلة الغربية وليس بغريب على طه حسين ذلك إذ إن ثقافته في جزء كبير منها غربية اوربية ، يقول عن قصيدة شوقي في شكسبير ((اين يقع هذا كله من اراء الشعراء الفرنسيين والالمان المحدثين)) (٥٧) ويذكر مثلا لذلك وهو غوته . ولا شك في أن هذه موازنة مع الفارق فالالماني غوته ليس شاعراً فحسب وانما هو ناقد ومفكر وثقافته تختلف عن ثقافة شوقي فالموازنة بينهما بهذا الشكل فيها تعسف وظلم لشوقي ، اما عندما يتطرق طه حسين للشعر التمثيلي لشوقي فيلجأ ايضا الى المعيار الغربي على الرغم من أن الاوربيين اصحاب ريادة في هذا الفن بينما كان شوقي اول من ادخله الى الادب العربي يقول طه حسين في ذلك ((فحاول أن يكون له تمثيل كتمثيل شكسبير وكتمثيل كورني وراسين، وكتمثيل هوجو؛ فوضع قصصه التمثيلي المأثور)) (٥٨) وهذا الكلام يحتمل المناقشة لان شوقي يدرك ان هذه النماذج التي ذكرها طه حسين تمثل قمة الفن الشعري التمثيلي وقد اتكأت على مديات حضارية بعيدة في هذا الفن بينما كان شوقي اول من كتب في هذا الفن في الادب العربي .

ث- كان طه حسين يمارس سلطة ادبية - إن صح التعبير - على الأدب المصري الحديث بخاصه العربي منه بعامة ، وكانت قراءاته في ذلك مختصرة مقتضبة(٥٩) وجاءت في معظمها على شكل مقالات عجلى ، أما مضمونها فقد بدا عميد الأدب العربي فيها موجهاً ومرشداً ونقده لشوقي يصدق عليه كثيرا من ذلك .

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة الشاقة الممتعة مع أمير الشعراء وعميد الأدب العربي نمت للبحث جملة من النتائج يمكن ايرادها في النقاط الآتية :-

١- لم يول طه حسين شوقي بدراسة مستقلة وافية بل كان يتناول شوقي في مقالات متناثرة جمع أغلبها ضمن كتابيه (حافظ وشوقي) و (تقليد وتجديد) .

٢- لم ير طه حسين إن ثمة عقيدة شعرية لشوقي اذ وصفه بثنائية الشخصية وهذا الأمر ليس شوقي فيه بدعا من الشعراء الاخرين وهو لا يقدح بشاعرية شوقي بحسب ما يرى محمد حسين هيكل ولكن طه حسين يرى في ذلك قدحاً في مستوى واداء الشاعر .

٣- ركّز طه حسين كثيراً على ثقافة شوقي ورأى بانها ليست بمستوى شعره ولا سيما الثقافة الفلسفية وقد فصل في ذلك في اثناء تحليله لقصيدة شوقي في ارسطو طاليس .

٤- وازن طه حسين بين حافظ وشوقي وأظهر ميلا واضحاً الى حافظ على حساب شوقي وربما كان للنشأة المتشابهة لكل منهما وتشابه بيئتهما له أثر كبير في ذلك .

٥- يرى طه حسين أن الأديب لا بد أن يكون مرآة لعصره وبيئته ولكنه نظر بعين ناقمة بعض الشيء، أو ليست راضية عن شوقي، وقد كانت في كثير من شعر شوقي صورة للبيئة التي عاشها في اشطر حياته الثلاثة (في القصر - المنفى - عودته من المنفى) .

٦- حاولت الدراسة البحث عن اسباب وموجهات للرؤية النقدية لطه حسين فوجدت إن ثمة موجبات أربعة هي (الموجه العاطفي ، الموجه النقدي ، الموجه الغربي ، الموجه التوجيهي) .

٧- يمكن القول إن طه حسين في مجمل نقده لشوقي لم يعط الجانب الفني حقه بل أكد كثيراً على جوانب ليست فنية بالدرجة الأساس مثل النشأة والثقافة الفلسفية وبعض الأفكار في القصائد .

٨- نلمح في عنوانات مقالات طه حسين نقداً لاذعاً لأحمد شوقي ، فطه حسين لا ينتظر الى أن تأتي مضامين مقالته وفقراتها بل يبدأ في نقده اللاذع بدءاً من العنوان مثل (شوقي خاتمة شعراء التقليد).

ABSTRACT

The conclusion was not Taha Hussein's study by Ahmad Shawqi,an independent study, but rather it was contested articles in two books (Hafez and Shawqi) and (Taqlid and Tajdeed).

Taha Hussein concluded that Shawqi's knowledge was not as advanced as his level of his poems. He deduced that during his analysis of Shawqi's poem in Aristo Talees.

Therefore, he didnt grant the artistic side it's worth. In addition, Taha Hussein in between Hafez Ibrahim and Ahmed Shawqi showed strong tendency to Hafez. This may be due to the similarities in uprbringinf of both of them .

In all of the above, we realise there is harsh criticism towards Ahmed starting with the title (Shawqi, The Conclusion of The Poets of Tradition).

هوامش البحث

(١) ظ : حافظ وشوقي :١٨ .

(٢) م . ن : ١٨ .

(٣) ظ : طه حسين قضية الشعر :١٥٣ .

(٤) حافظ وشوقي : ١٨.

(٥) الشوقيات : ١٥.

(٦) حافظ وشوقي : ٢٠ .

(٧) تقليد وتجديد : ٥١-٥٢ .

(٨) م . ن : ٥١ .

(٩) حافظ وشوقي : ٦٧ .

(١٠) تقليد وتجديد : ٤٧ .

(١١) الشوقيات : ٤٢٨/٢ .

(١٢) المعارك الأدبية : ٥٤٤ .

(١٣) تقليد وتجديد : ٨ .

(١٤) م . ن : ٩ .

(١٥) م . ن : ٤٧ .

(١٦) خصام ونقد : ١٢٨-١٢٩ .

(١٧) م . ن : ١٢٩ .

(١٨) تقليد وتجديد : ٥٣ .

(١٩) ظ ، خصام ونقد : ١٢٩ .

(٢٠) حافظ وشوقي : ١٢٦ .

(٢١) م . ن : ١٢٣ .

(٢٢) الشوقيات : ٤٣٠/٢ .

(٢٣) م . ن : ٤٧٥/٢-٤٧٦ .

(٢٤) ظ ، الموازنة بين الشعراء : ١٠٨ - ١١٨ .

(٢٥) حافظ وشوقي : ١٢٧ .

(٢٦) حديث الاربعاء :٦٥٥/٣.

(٢٧) شوقي شاعر العصر الحديث : ١٠٩ .

(٢٨) حافظ وشوقي : ١١٤ .

(٢٩) م . ن : ١١٤ .

(٣٠) الباحث هو عامر محمد بحيري في بحثه ضمن كتاب طه حسين وقضية الشعر : ١٤٦ .

(٣١) الشوقيات :٦٠٧/٢.

(٣٢) حافظ وشوقي : ١١٩ .

(٣٣) م . ن : ١١٩ .

(٣٤) طه حسين اثاره وافكاره : ١٧٩ .

(٣٥) حافظ وشوقي : ١٢٣ .

(٣٦) م . ن : ١٢٤-١٢٥.

(٣٧) م . ن : ١٣٦ .

(٣٨) م . ن : ١٣٦ .

(٣٩) ظ ، م . ن : ٢٠ .

(٤٠) ظ : مقالات د. علي جواد الطاهر :٦١ .

(٤١) المرآيا المتجاورة : ٢٥ .

(٤٢) الشوقيات :٣٦١/١.

(٤٣) حافظ وشوقي : ٦٨ .

(٤٤) م . ن : ١٣٥ .

(٤٥) الشوقيات : ٤٣٠/٢ .

(٤٦) م . ن : ٤٢٩/٢ .

(٤٧) مجلة الهلال ، (ساعة مع طه حسين) ع١ ، نوفنبر ،١٩٢٧ : ٣٧ .

(٤٨) مجلة الهلال :احاديث مع امير الشعراء :ع٨ ، يونيو ،١٩٢٧ : ٩٨ .

(٤٩) ظ : الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي : ٩٧ .

(٥٠) ظ : مقدمة الشوقيات : ١٥ .

(٥١) حافظ وشوقي : ١١٤-١١٥ .

(٥٢) ظ : تطور النقد المنهجي عند طه حسين : ٢١٦ .

(٥٣) حافظ وشوقي : ١١٤ .

(٥٤) الخطاب النقدي عند طه حسين : ٢٠٢ .

(٥٥) حافظ وشوقي : ٦٧ .

(٥٦) طه حسين وقضية الشعر : ١٥٩ .

(٥٧) حافظ وشوقي : ١٢٧ .

(٥٨) خصام ونقد : ١٢٩ .

(٥٩) ظ : الخطاب النقدي عند طه حسين : ١٥٠ .

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد شوقي أمير الشعراء ، فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٨.

٢- تطور النقد المنهجي عند طه حسين ، رسالة دكتوراه ، د. محمد شنوفي ، جامعة الجزائر ،٢٠٠٥-٢٠٠٦.

٣- تقليد وتجديد ، طه حسين ، مؤسسة الهنداوي ٢٠١٧ .

٤- حافظ وشوقي ، طه حسين، مكتبة الخانجي، مؤسسة الهنداوي - مصر ، ٢٠١٢ .

٥- حديث الأربعاء ، طه حسين ، مؤسسة الهنداوي، مصر ، ٢٠١٢ .

٦- خصام ونقد ، طه حسين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٧٩ .

٧- الخطاب النقدي عند طه حسين ، احمد ابو حسن ، دار التنوير ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٥.

٨- الشوقيات ، شعر المرحوم احمد شوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢، ٢٠٠٦ .

٩- شوقي شاعر العصر الحديث ، د . شوقي ضيف ، مكتبة الاسرة دار المعارف ٢٠١٠.

١٠- الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، د. محمد حسين الاعرجي ، عصمي للنشر والتوزيع – القاهرة . د.ت .

١١- المرايا المتجاورة ، دراسة في نقد طه حسين ، جابر عصفور ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ .

١٢- المعارك الأدبية ، احمد انور سيد احمد الجندي ، مكتبة الانجلوا المصرية ، ط١ ، ١٩٨٣ .

١٣- مقالات الباب الواسع ، د. علي جواد الطاهر ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ط١ ،٢٠٠٧ .الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مبارك ، مؤسسة الهنداوي، مصر ، ط٢٠١٢،٢.

١٤- طه حسين آثاره وأفكاره ، د.السيد تقي الدين ، نهضة مصر القاهرة ، ١٩٩٠ .

١٥- طه حسين وقضية الشعر ، تأليف محمد عبد الغني وآخرين ، الهيأة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

المجلات

١- مجلة الهلال ، ساعة مع د. طه حسين ، ع١ نوفمبر ١٩٢٧ .
٢- مجلة الهلال ، أحاديث مع أمير الشعراء ، ع١ يونيو ١٩٢٧ .